3 ـ النقد الروائي الاجتماعي، أصوله خارج العالم العربي

إشارة أولية:

ارتبط ظهور نظرية الرواية باهتمام علم الاجتماع بالفن الروائي الذي اهتم بدوره بالواقع الاجتماعي. وكان علم الاجتماع الجدلي سبّاقاً إلى التأمل في الرواية. وفي العالم العربي أيضاً كان ظهور الرواية الواقعية حافزاً مباشراً لظهور النقد الإديولوجي الاجتماعي.

ونظراً لأهمية النقد الاجتماعي الروائي فيما يخص القاء الضوء على قضية علاقة الإديولوجيا بالرواية، فإننا نقدم في هذا الجزء من الباب الأول صورة عن المراحل الأساسية التي مر منها تطور المنهج مع التركيز قدر الإمكان على الموضوع الأساسي لهذا الكتاب الذي هو في الأساس حديث عنِ الإديولوجيا في الرواية والرواية كإديولوجيا.

رأينا إذن أن المنهج الاجتماعي في الأدب ارتبط ظهوره أساساً بالحديث عن الرواية، ولا يهمنا هنا أن نتوسع في شرح أسباب هذا الارتباط ولكن يهمنا بالدرجة الأولى، أن نتعرف إلى نوعية هذا الارتباط، كما يهمنا أيضاً أن نؤكد الحقيقة التالية: **وهي أن نظرية الرواية لم تتبلور، وتبرز إلى الوجود إلا بفضل هذا المنهج، أو على الأصح بفضل أشكاله المتعددة.**

فقبل أن تَتَناولَ «المناهجُ» الاجتماعية الفن الروائي بالدراسة والتحليل، كانت دراسة الرواية تخضع للمقاييس النقدية التقليدية، سواء تلك التي ترتبط بالانطباعية أو المنهج التاريخي في صورته اللانسونية أم تلك التي ترتبط بعلم النفس بشكل عام. ولم تكن بعض هذه المناهج قادرة على تجاوز نطاق التصور المتولد عن دراسة طبيعة الفنون الأخرى؛ من أجل دراسة الرواية كفن مستقل، له قوانينه، ومميزاته الخاصة. إن هذا الأمر لم يحدث إلا في نطاق تطور المنهج الاجتماعي في النقد الروائي.

ولم تكن للمنهج الاجتماعي في نقد الرواية صورة واحدة، فقد مر بمراحل متعددة، كما لزاماً عليه أن يُطَوِّرَ خلالها نَظْرَتَهُ، ويُكيِّف أدواته، لكي يكتشف هو الآخر بعض المميزات الخاصة بالفن الروائي. لذلك يمكن الحديث عن ثلاثة أشكال في سيرورة ارتباط هذا المن بنقد الرواية: